الفصل الثالث

رودني والعلاقة بين الغرب وأفريقيا نحو تصور بديل

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

قُدمت العديد من الرؤى والتصورات فى الفكر الأفريقي لمحاولة تغيير سمات علاقة القارة الأفريقية بالغرب، وكان محور تلك الرؤى السبل والأدوات التى يجب أن تتعامل بها القارة مع العالم الخارجى وبخاصة الغرب، وما هى الأساليب التى يجب أن تنتهجها لتصل إلى المساواة فى علاقتها مع الغرب، وفى حين يعول بعض هذه الرؤى على الغرب نفسه فى السماح لأفريقيا بالتنمية واستعادة مكانتها على الساحة الدولية، ترى فئة أخرى من هذه الرؤى أنه لابد أن تتحقق التنمية والنهضة بالاعتماد على الذات وبأساليب تعارض توجهات الغرب، وذهب اتجاه ثالث إلى إمكانية التطور والتنمية من خلال مفاهيم ونماذج غربية تتسق وتتناسب مع طبيعة المجتمع الأفريقي، ولكن الثابت إلى الآن أن التنمية والتقدم واستعادة أفريقيا لمكانتها الدولية لم ولن تحدث فى ضوء سمات علاقة القارة بالغرب السابق الإشارة إليها، وفى ظل الأسلوب الذى تتعامل به الدول الرأسمالية مع القارة ومستقبلها.

وقد اشترك رودنى مع هذه التيارات فى محاولة تقديم تصور بديل لطبيعة العلاقة بين أفريقيا والغرب، بل كانت هذه القضية هى محور فكره ونشاطه، إذ تعهد ببحث تاريخ تلك العلاقة، وأن يحاول تقديم الحلول التى تمكن هذا الشعب الأسود من أن يتخلص نفسياً وفكرياً من ثوابت وسمات تلك العلاقة التى حاول الغرب فرضها على القارة، حيث يرى أن أفريقيا لها ما يؤهلها لأن تتعامل مع الغرب ليس على قدم المساواة فحسب، بل لها من التاريخ والقدرات ما يؤهلها لأن تتعامل وكأنها الطرف الأفضل والذى له الفضل على الطرف الآخر فى هذه العلاقة، ومن ثم حاول رودنى أن يقدم الأسس التى تؤهل القارة لأن تصل إلى الوحدة السياسية، وأن تبنى قوة سوداء فى إطار مرجعية تاريخية أفريقية تمكنها من التعامل مع الغرب على قدم المساواة على أسوأ الاحتمالات، وأكد على أهمية دراسة وإدراك واقع القارة الأفريقية قبل الاتصال الأوروبى بها، وكيف أصبح بعد هذا الاتصال، وتحليل سمات وآثار

هـذه العلاقـة التاريخيـة، والسـعى نحـو اسـتخدام ذلـك الأسـاس التـاريخى فى بنـاء مرجعية فكرية تسهم فى ظهور قوة سوداء ووحدة أفريقية يمكن من خلالها تعديل وتغيير سمات تلك العلاقة وما يشوبها من مثالب.

ويمكن أن تتم دراسة وتحليل التصور البديل الذى قدمه رودنى لهذه العلاقة فى ثلاثة محاور أساسية، وهى ستكون محل مناقشة ثلاثة مباحث؛ يتناول **الأول** منها تصورات ورؤى رودنى لكيفية وصول القارة لتحقيق الوحدة السياسية بين دولها كأحد أهم أدوات تغيير سمات تلك العلاقة، فى حين يناقش **المبحث الثانى** رؤيته لأيديولوجية القوة السوداء، وكيف يمكن أن تشكل أساساً فكرياً ومؤسسياً لتصحيح العلاقة بين أفريقيا والغرب، فى حين يشكل التاريخ وإعادة كتابته وإدراك ما يقدم من نماذج محوراً **للمبحث الثالث** من هذا الفصل.

المبحث الأول

الوحدة السياسية بين الدول الأفريقية

حاول رودنى مناقشة وتقديم العديد من الرؤى والتصورات حول قضية الوحدة السياسية فى أفريقيا كأحد الأبعاد المهمة فى تعديل شكل العلاقة بين أفريقيا والغرب، وتعد الوحدة السياسية الأفريقية من القضايا التى اهتم بها ولا تزال محل اهتمام العديد من المفكرين المهتمين بالشأن الأفريقي، وكان الحديث قبل وأثناء حصول الدول الأفريقية على الاستقلال حول فكرة الجامعة الأفريقية وأسسها وكيف يمكن الوصول إليها، وامتد الحديث منذ الاستقلال وحتى الآونة الراهنة عن كيفية تحقيق الوحدة الأفريقية فى شكلها السياسي والمؤسسى، وقام رودنى بدراسة وتحليل الروابط المشتركة بين الدول والجماعات الأفريقية ليصل إلى تقديم هيكل فكرى ومؤسسى يعبر عن هوية واحدة للشعب الأسود؛ إذ تأثر فى فترة نشأته بتوجهات أفارقة الدياسبورا وخصوصاً أنه نشأ فى منطقة نفوذ وتأثير تيار الجامعة الأفريقية والرواد الأوائل له، وانطلق رودنى من دراسة فكرة الجامعة الأفريقية وكيف يمكن أن تصبح الأساس الفكرى لوحدة أفريقية؟ وكيف ستكون الأخيرة أداة لتحقيق التنمية والتصدى للاستعمار الجديد بأشكاله المختلفة؟ وكيف يمكن استخدامها لإصلاح عدم التوازن الذى يعترى علاقة القارة بالغرب؟ ولذا سيتناول هذا المبحث رؤى رودنى للوحدة السياسية فى أفريقيا من خلال ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** مفهوم الوحدة الأفريقية وأهميتها.
- **المطلب الثانى:** أسس الوحدة الأفريقية.

- المطلب الثالث: معوقات وتحديات الوحدة الأفريقية.

المطلب الأول: مفهوم الوحدة الأفريقية وأهميتها

ينتمى رودنى لتيار فكرى راسخ فى الفكر الأفريقى كان محور اهتمامه مفهوم الجامعة الأفريقية، وتقديم الرؤى التى توضح كيف يمكن تطوير وبلورة أبعاده ليشكل أساساً فكرياً لوحدة سياسية بين الدول الأفريقية، وكيف ستكون هذه الوحدة هى الحل للعديد من المشكلات والتحديات التى تواجه القارة، إذ كانت هذه الوحدة من المرتكزات الفكرية الأساسية لفكره، لذا حاول أن يجد الصيغ والنماذج الفكرية التى يمكن من خلالها الجمع بين الاشتراكية كتوجه أيديولوجى والوحدة السياسية كحركة قومية.

وتعتبر حركات الجامعة (Pan) من الحركات الثقافية السياسية التى تهدف إلى تنمية وترابط وتضامن جماعات بشرية توجد بينها قواسم مشتركة، قد تكون هذه القواسم لغوية، أو دينية، أو اجتماعية[1]، وهو ما ينطبق على الجامعة الأفريقية، وإن كانت الروابط اللونية قد شكلت محدداً رئيسياً فى الجامعة الأفريقية قديماً وفى توجهات الوحدة الأفريقية فى الآونة الراهنة[2]، وقد حاول العديد من المفكرين الاهتمام بتعريف وتحديد أبعاد هذا المفهوم من أهمهم جورج بادمور، وسلفستر ويليامز، وماركوس جارفى، ووليام ديبوا، وإيمى سيزار، وسيريل ليونيل روبرت جيمس C.L.R. James ، وكذلك وولتر رودنى[3]، وتعنى الجامعة الأفريقية بالنسبة لرودنى: «مفهوم الجامعة الأفريقية هو اختبار للتعريف الذاتى من الشعب،

(١) د. عبد الملك عودة: م.س.ذ.، ص ١٩.

(2) Mazi E. N. Njaka: Africanism, **A Journal of Opinion** (New Jersey: African Studies Association, Vol. 1, Autumn 1971), p.13.

(3) For Information about the History of Pan- Africanism look :

- Imanuel Geiss: Pan-Africanism, **Journal of Contemporary History** (London: Sage Publication, Vol.4 No.1, January 1969), pp.190-197.

وهو محاولة لتأسيس تعريف للذات أكثر اتساعاً من الذى فُرض على السود من الشعوب التى تمتلك القوة والسلطة، ونحن نتحدث عن الجامعة الأفريقية إذن نحن نتحدث عن تضامن بين العالم الأسود فى مختلف المراكز التى يعيش بها السود»[١].

ويتفق رودنى مع التيار القائل بأن الجامعة الأفريقية هى جهد واتجاه لتوحيد السود فى الصراع من أجل التحرير والاستقلال، ولكن ليس على أساس رابط لغوى ثقافى واحد، وأنها تأتى نتيجة لموقف الرفض والنفى[٢]، فقد بدأت كرد فعل على الممارسات الاستعمارية والعنصرية وتراجع مكانة الإنسان الأسود اجتماعياً، ولذا بدأت فى الكاريبي، وانتقلت إلى أفريقيا، وهى تعبر عن هيكل مؤسسى للتعبير عن إحساس الإنسان الأسود بالانتماء لجنس (لون) بعينه، ولذا ينظر رودنى للون الأسود كتعبير عن أفريقيا ومرادف لها، وينظر للقارة باعتبارها وطناً واحداً وشعباً واحداً[٣].

ويرتب رودنى على إحساس الشعب الأسود بضرورة وإمكانية الوصول للوحدة السياسية عدداً من المسؤوليات على الإنسان الأسود تسهل قيام هذه الوحدة، من أهمها ضرورة أن يُعرف الإنسان الأسود نفسه، ويقدم هذا التعريف للأجزاء الأخرى من العالم المتقدم[٤]، وكذلك عليه أن يعارض النماذج القيمية والتنموية التى فرضها عليه الغرب؛ لأن: «القوة البيضاء نجحت من خلال سيطرتها على وسائل الإعلام والتعليم والاتصالات أن تقدم نماذج تخلد من القيم البيضاء...والطريق إلى القوة السوداء أن نبدأ بإعادة تعريف أنفسنا كسود، وأن نعيد

(1) Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **Africana Colloquium Series** (New York: The Africana Studies Research Center, September 2005), p.18 & 19.

(٢) د. عبد الملك عودة: م.س.ذ.، ص ٢٠.

(3) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.58.

(4) Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.18 & 19.

تعريف العالم من وجهة نظرنا»[1]، وكان هدف رودنى هو الوصول إلى هيكل مؤسسى لتنمية السود فى كافة أرجاء العالم .

ويصل رودنى إلى تقديم رؤية يكون فيها هيكل الجامعة الأفريقية هو البداية الفكرية لوحدة سياسية فى القارة الأفريقية بعد الاستقلال، ولكن جوهر هذه الوحدة يرتكز على الإحساس والوعى المشترك وهو لونى بالأساس، ولذا يصبح: «من المبادئ الأساسية للجامعة الأفريقية أن يكون الإخوة السود فى القارة مسئولين عن إخوانهم وأخواتهم فى الأجزاء الأخرى من أفريقيا، بل وفى الواقع يصبح كل أفراد الشعب الأسود فى كل جزء من العالم مشتركين فى هذه المسؤولية»[2]، ويؤكد على أن أى مفهوم لحركة «جامعة Pan» هو محاولة لتعريف الذات من جماعة أو من شعب معين، ولذا فإن الشعب الأسود يسعى من خلال مفهوم الجامعة الأفريقية إلى توسيع مفهوم الشعب الأسود وتقديمه بصورة أفضل من تلك التى كانت فى الفترة الاستعمارية، وتتطلب هذه الجامعة وجود مجموعة تقود وتتحدث باسم الشعب، ويعول رودنى هنا على الطبقة العاملة الوطنية كأساس للجامعة والوحدة الأفريقية[3].

وتعتبر الجامعة الأفريقية هى الأساس الفكرى للوحدة السياسية التى يمكن أن تحدث فى أفريقيا، وهى بالأساس حركة شعبية وليست سياسات فوقية من الطبقات الحاكمة، وهو يعول على طبقات العمال والفلاحين للقيام بهذه الحركة الشعبية الوحدوية، والشرط الأساسى للشخص الذي ينتمى لهذه الطبقات أن يكون أفريقيا، إذن من هو الأفريقي من وجهة نظر رودنى؟ وما هو المعيار الذى يمكن

(1) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.**, p.34.
(2) Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.**, p.25.
(3) Walter Rodney: Toward Sixth. Pan-African Congress...., **op.cit.**, p.731.

الاحتكام إليه لأن نطلق على شخص أنه أفريقي؟ يمكن القول بأن مفهوم الإنسان الأفريقي فى فكر رودنى يترادف مع مفهوم الأسود، فهو معيار لونى، دون اهتمام بالمعيار الإقليمى لتحديد هوية هذا الأفريقي، وأن يدرك هذا الإنسان الأسود واقع مجتمعه ومشاكله والأسباب التاريخية التى أدت إلى هذا الواقع، ويسعى إلى تغيير سمات هذا المجتمع من خلال عدة أدوات أهمها الوحدة السياسية السوداء[١]، ويوسع رودنى من مفهوم الأسود عندما يضع أنه كل شخص غير أبيض ومر بخبرات الاستغلال والقهر على يد القوة البيضاء، واختار اللون لأنه: «اخترت عامل اللون لأنه من أهم العوامل التى تشكل أداة ربط فى عالمنا المعاصر...أنى أدركت العالم الواقعى»[٢]، حيث يرى رودنى أن اللون هو ما يجب أن يشكل أساس الوحدة السياسية فى محاولة لجعل سبب القهر والاستغلال تاريخياً يصبح أساس الوحدة، ولذا لم يُعر أوجه الانقسام الأخرى بين السود أى اهتمام[٣]، ولذا كانت إحدى القضايا التى اهتم بها بشكل دائم كيفية تحقيق الوحدة السياسية أو تفعيل الجامعة الأفريقية فى المجتمعات المتعددة إثنياً، وحاول تقديم السبل التى يمكن من خلالها التغلب على هذا التحدى[٤].

كما يرى رودنى أن الوحدة السياسية سوف تسهم فى إنهاء حالة الضعف والاستغلال وأشكال الاستعمار الجديد، كما ستساعد فى علاج حالة عدم التوازن فى علاقة أفريقيا بالغرب من خلال الإسهام فى التغلب على أكثر من تحد يواجه المجتمع الأفريقي، ولذا فأهمية الوحدة السياسية فى فكر رودنى تنطلق من كونها:

(1) Walter Rodney: **African Revolution**, pp.5-7, at: http://www.sojournertruth.net/rodney.pdf
(2) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.16.
(3) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** pp.67-69.
(4) Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.14.

١) **الحل لمشاكل الحدود السياسية فى أفريقيا:** من القضايا الأساسية التى برزت على إثر شكل الحدود السياسية التى ورثتها أفريقيا من الاستعمار هى قضية مدى تناسب هذه الحدود مع التكوين الاجتماعى داخل الدولة، وما ترتب على ذلك من مشكلات وصراعات داخل وبين الدول، ويرى رودنى: «أن أغلب الدول صغيرة الحجم حاولت أن تعزز حدودها الإقليمية، وكان ذلك من خلال الحفاظ على نمط وطبيعة العلاقات الاجتماعية التى تسيطر داخل هذه الحدود السياسية، وكذلك من خلال حماية الإمبريالية فى شكل الاحتكارات»[١]، ويؤكد أن ذلك كان يتم بالتوافق مع رغبة القوى الغربية التى حاولت الحفاظ على حالة الضعف والانقسام بين وداخل الدول الأفريقية على أساس من أوجه الانقسام التى تم ترسيخها وقت الاستعمار، ولذا يرى أن الوحدة ستسهم فى حل مشاكل الحدود عن طريق إلغاء الحدود القائمة بين الدول، وخلق هيكل مؤسسى واحد للقارة يحقق الأهداف التى تسعى إليها أفريقيا[٢].

٢) **أداة لمواجهة الاستعمار الجديد** تستطيع القارة أن تتخذ من الوحدة مجالاً وأداة لإعادة هيكلة ثورية لعلاقتها بالعرب ولتحطيم الطابع الأبوى الذى يحاول الغرب أن يصْبغ به علاقته مع القارة، وكذلك يمكن من خلالها مواجهة أشكال الاستعمار الجديد[٣]، ولذا ينظر رودنى للوحدة الأفريقية على أنها رغبة فى الوصول لوحدة الهوية الأفريقية، لذا فهى حركة لها أبعاد ثقافية ونفسية وتاريخية إلى جانب أبعادها السياسية والاقتصادية، وتستمد هذه الحركة جوهرها من الديناميات والتغيرات التى تحدث داخل القارة وبخاصة محاولة الأفارقة الكفاح من أجل التحرر من سيطرة الغرب فى كافة المجالات، ولذا: «يجب أن تتم القطيعة المباشرة

(1) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress....., **op.cit.,** p.732.
(2) **Ibid,** p.739.
(3) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.69 & 70.

والكلية مع الغرب حتى يتم الوصول للوحدة السياسية والاقتصادية لأفريقيا»[١]، ويُبدى رودنى تخوفاً من دور بعض البرجوازيات الصغيرة الحاكمة فى أفريقيا وعلاقتها بالغرب، وأثر هذه العلاقة على الوحدة الأفريقية[٢]، وكذلك نبه لأنشطة الغرب الاقتصادية وبخاصة الشركات المتعددة الجنسيات لأثرها السلبى ودورها الاقتصادى المعارض لإمكانية تحقيق الوحدة الأفريقية وبخاصة فى المجال الاقتصادى والتنموى[٣].

٣) **مواجهة العنصرية البيضاء:** يرى رودنى أن أساس استغلال وقهر واستعمار الإنسان الأسود هو العنصرية البيضاء وممارساتها، ويكمن السبب فى تعظيم آثار تلك العنصرية فى حالة الضعف والتفكك التى كان عليها الشعب الأسود، وأكد أن أساس تلك الخبرات العنصرية هو اللون الأسود، ولذلك سعى إلى أن يصبح هو أيضاً أساس الوحدة والقوة التى ستكون رداً على العنصرية البيضاء وأداة التخلص من آثار تلك الخبرات التاريخية، فالوحدة الأفريقية عند رودنى هى محاولة من الشعب الأسود لتعريف نفسه على أساس من أسباب وعوامل المعاناة التاريخية والخبرات العنصرية، ولكن لم يكن الهدف أن يتم الوصول لمجتمع عنصرى لونياً أو إثنياً، بل تكوين قوة وأساس فكرى ومؤسسى لمواجهة العنصرية البيضاء وإرثها التاريخى[٤].

٤) **أداة لتحقيق التنمية والدعم المتبادل بين الدول الأفريقية:** تستطيع الدول الأفريقية أن تحقق درجة من التنمية إذا استطاعت أن تصل إلى درجة من الوحدة والاعتماد المتبادل فيما بينها، بل يؤكد أنها سوف تستطيع تعظيم منافع التنمية، وستعجل

(1) Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.9 &25.
(2) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.117. & - Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress…., **op.cit.,** p.732.
(3) Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.,** p.76 & 77.
(4) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.24 & 25. & - Alex Dupuy: **op.cit.,** p.117.

من تطورالهيكل الإنتاجى والأدوات المؤسسية التى تنهى حالات الاحتكار والاستئثار بمنافع التنمية التى يمارسها الغرب[١]، بل ويرى أن الوحدة التى ستتحقق فى أفريقيا فى ضوء الصراع من أجل التنمية ستكون أكثر شعبية وراسخة الأركان، وستسهم فى توفير الشرعية السياسية للعديد من الفئات الحاكمة التى تسعى نحوها[٢].

٥) **الهيكل المؤسسى للثورة السوداء:** يؤكد رودنى أن الوحدة السياسية تمثل مرحلة محورية فى توفير هيكل مؤسسى ناضج يستطيع قيادة الثورة السوداء العالمية، ويؤمن بأن: «إثنية بدون قوة أو سلطة هى إثنية بدون احترام»[٣]، لذلك يمثل السعى نحو التنسيق بين الفئات والطبقات الاجتماعية واتخاذ خطوات من شأنها رفع مستوى الوعى بالحضارات والثقافات والنماذج التاريخية الأفريقية محوراً فكرياً يساعد فى الوصول إلى الوحدة والتقدم نحو الثورة السوداء العالمية، وإنهاء الاستغلال الرأسمالى المستمر، ولذلك: «يمكن أن ينتهى استغلال الأفارقة عن طريق تأسيس المجتمع الاشتراكى...ويجب أن تكون الجامعة الأفريقية ذات طابع دولى، وتصبح سلاحاً اشتراكياً ضد الإمبريالية»[٤]، وإذا استطاعت الجماهير السوداء أن تنتصر على أوجه الانقسام لتى بينها سيسهل ذلك من إحداث التغيير الثورى فى حياتها وفى علاقتها مع الغرب، ولكن يجب توافر هياكل وحدوية ومؤسسات تنسيق تسهل حدوث تلك الثورة[٥].

٦) **مؤسسية القوة السوداء العالمية:** تستطيع القارة من خلال الهياكل والتوجهات الوحدوية والتنسيق فيما بين أجزاء العالم الأسود أن تصل إلى بناء هيكل من القوة السوداء يمكنها من إعادة هيكلة علاقتها بالغرب، وترك دور التابع للقوة

(1) Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.26.
(2) Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.,** p.76 & 78.
(3) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.20.
(4) Hakim Adi & Marika Sherwood: **op.cit.,** p.164 & 165.
(5) Clive Thomas: **op.cit.,** p.8 & 12.

البيضاء الغربية[١]، وحتى يصل السود إلى تحقيق هذا الهدف يجب توافر تيارات فكرية تحاول التنسيق بينهم فى الأبعاد التاريخية والثقافية والاجتماعية بشكل يسهل بناء هذه القوة السوداء[٢]، ولذا سعى رودنى إلى تقديم الرؤى التى تربط بين الوحدة الأفريقية والقوة السوداء العالمية فى محاولة للاستفادة من وحدة سياسية فى القارة تكون الخطوة المؤسسية الأهم فى سبيل خلق تلك القوة[٣].

٧) **إعادة هيكلة العلاقات بين الجماعات فى القارة:** يرى رودنى أن الاستعمار قد نجح إلى حد كبير فى تشويه العلاقات بين عدة جماعات فى القارة، واستطاع السيطرة فى العديد من الأماكن من خلال خلق حالة من الخلاف والصراع، وإدارة هذه الاختلافات بشكل يحقق أهدافه، ويسهل سيطرته، ولذا كان هدف رودنى فى العديد من الرؤى والتصورات أن يصل للوحدة الأفريقية أو حتى الوحدة على المستوى الطبقى بين الجماعات والإثنيات المختلفة، وفى رأيه أن الوحدة ستعالج العديد من الآثار الاجتماعية السلبية للاستعمار[٤]، وستكون ضد الاستقلال الشكلى، وضد ائتلاف المصالح الناشئ بين البرجوازية الصغيرة والرأسمالية العالمية، والذى يحاول الحفاظ على حالة الانشقاق والخلاف التى بين الجماعات حتى فى الوقت التالى للحصول على الاستقلال ليحول دون الوصول إلى درجة من الوحدة؛ لأن الأخيرة ستكون فى غير صالح البرجوازيات الصغيرة والرأسمالية العالمية، ولذا: «من النادر أن تسعى الطبقة الحاكمة الأفريقية إلى بناء شىء يغير قواعد الانقسام الإثنى الموجود...ولم يكن من المفاجئ أن تجد الاشتراكية العديد من الرافضين لها فى الدول الأفريقية»[٥]؛ لأنها تهدف إلى درجة من الوحدة بين الطبقات

(1) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.125.
(2) Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.8 & 17.
(3) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** pp.16-20.
(4) David Renton: **op.cit.,** p.152.
(5) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress....., **op.cit.,** p.733 & 734.

الاجتماعية التى يعول عليها رودنى فى قيادة حركة الوحدة الأفريقية.

وقد حاول رودنى أن يجعل من الوحدة أساس الأدوات التى يمكن أن تنهى الصراعات والخلافات التى بين الطبقات المقهورة المُستغَلة، وأن يوجه هذا الصراع ليصبح بين كل من هو مُستغَل مع كل من يستغِل[1]، ولذلك حاول أن يطوع بعض المبادئ الاشتراكية لتتناسب مع احتياجات وسمات وخصائص القارة، ويؤكد هورد دوبسون Howard Dobson – صاحب مقدمة كتاب Walter Rodney's Speaks – أن رودنى يجمع بين القناعة بالاشتراكية وضرورة تطبيقها فى أفريقيا كحل للتنمية ولرفض الرأسمالية، وفى نفس الوقت يؤمن ويؤيد الجامعة والوحدة الأفريقية كسبيل لحل العديد من المشاكل، وكأداة لتوحيد الإثنيات المختلفة والوصول لقوة سوداء، ويُفسر ذلك فى ضوء قناعة رودنى التامة بأن القارة الأفريقية لها النماذج الحضارية والقيم الثقافية التى يمكن أن تصبغ بها أى توجه أيديولوجى ليصبح متناسباً مع سمات مجتمعها، وأن تحقيق ذلك التوافق بين التوجهين يمكن أن يتم عن طريق الجماهير الموحدة التى على درجة من الوعى وتقود التوجه الاشتراكى، وخصوصاً أن الجماهير فى فكر رودنى تتكون من العمال والفلاحين، وهذا يفسر لنا النشاط الواسع النطاق الذى كان يقوم به لإنهاء سيطرة القيم البيضاء، ولعلاج حالة التفكك الاجتماعى بين الجماهير التى يحاول أن يستخدمها[2].

المطلب الثانى: أسس الوحدة الأفريقية

قدم رودنى العديد من الأسس العملية التى يمكن من خلالها تحويل الرؤى والتصورات السابقة إلى واقع عملى، وحاول إبراز القواسم والخبرات والسمات المشتركة التى تتشكل منها أسس الوحدة الأفريقية؛ لأن هناك اتفاقاً على أن الوحدة

(1) Alex Dupuy: **op.cit.,** pp.114-117.
(2) Horace Campbell: »Philosophy and Praxis: the Life and Work of Walter Rodney», **op.cit.,** p.5 & 6.

الأفريقية قد تضمنت أبعاداً جديدة بعد الحصول على الاستقلال، وتحت ضغط ممارسات الاستعمار الجديد، وسوء حالة التنمية بشكل دفع مفكرى وقادة الدول أن يحاولوا تذليل التحديات والمعوقات التى تقف حائلاً دون الوصول للوحدة الأفريقية، وأن يسعوا إلى تفعيل القواسم المشتركة التى يمكن أن تيسر الوصول لهيكل وحدوى سياسي مشترك[1]. ويقدم رودنى أسس الوحدة الأفريقية على النحو التالى:

أولاً: اللون الأسود وموقف رودنى من الدول الأفريقية العربية:

يؤكد رودنى أن لون بشرة الشعب الأفريقى كان العامل الأساسى والسبب الرئيسي فى الخبرات التاريخية الاستغلالية والعنصرية التى مر بها الإنسان الأسود على أرض القارة أو خارجها، ولذا احتل عامل اللون أولوية فى فكر ورؤى رودنى بشكل يفوق عوامل كالدين أو الانتماء الطبقى أو الإقليمى[2]، ولذلك حاول أن يقدم الرؤى التى تصل بالقارة للوحدة على أساس العامل الذى كان سبب القهر والاستغلال والاستعمار، وفى نفس الوقت حاول أن يغير مدركات السود أنفسهم لقيمة اللون ودوره فى الوحدة السياسية مؤكداً على أن النظام العالمى بالأساس يقُسم على أساس لونى[3].

ويرى العديد من محللى نشاط ورؤى رودنى أنه يعتبر امتداداً لأفكار ماركوس جارفى فى اهتمامه بالطابع اللونى للمؤسسات التى احتوتها أفكاره، لكن لا يصل الانتماء اللونى عنده لدرجة العنصرية السوداء كما هو الحال عند جارفى[4]، ويؤكد رودنى: «لقد فقد الشعب الأسود قدرته على إدارة أموره بسبب ما نتج عن الفترة

(1) Imanuel Geiss: **op.cit.,** pp.187-194.
(2) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.16.
(3) Alex Dupuy: **op.cit.,** pp.112-114.
(4) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.54. – for More Information about Garvey look :
- رانيا حسين خفاجة: «ماركوس جارفى....وفكرة العودة إلى أفريقيا»، **آفاق إفريقية** (القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، العدد الثالث، خريف ٢٠٠٠) ص ص ٥٦-٥٩.

الاستعمارية، والهدف الأساسى للبيض أن يروا أننا لن نستعيد هذه القوة مرة أخرى...يجب أن تكون للسود القوة التى تتناسب وتتساوى مع عددهم»[١].

ويتسع مفهوم الشعب الأسود عند رودنى ليشمل كافة الجماعات التى تعرضت لخبرات السلب والقهر والاستغلال على يد الشعب الأبيض، ويصبح الأخير هو «كل من يستغل الإنسان الأسود» حتى لو كان من السود أنفسهم، ويعتبر الفئة الأخيرة من ذوى القلوب البيضاء، وأنها قد حققت منافع ومصالح شخصية على أساس من الإثنية أو الأبعاد الثقافية، لكن ليست تلك هى المنافع الأساسية التى يمكن السعى نحوها لأنها حقُقت بعيداً عن معيار اللون، ولذا فإن توحيد جهود السود على أساس اللون ستعظم من المنافع التى يمكن الوصول إليها[٢].

كما يؤكد رودنى فى الرؤى والتصورات التى قدمها على إمكانية تحقيق الوحدة فى ظل المجتمعات المتعددة إثنياً، مبرراً ذلك بأن كافة المجتمعات التى يعيش الإنسان فى ظلها هى مجتمعات متعددة إثنياً، ولا توجد سوى حالات استثنائية تتمتع بالتجانس الإثنى بين سكانها[٣]، ولذا رفض العنصرية التى كانت تمارس فى جنوب أفريقيا، وكان يراها أحد تحديات تحقيق الوحدة الأفريقية، وكان دائماً ما يؤكد على المساواة كقيمة عليا، وعلى مركزية اللون كمنطلق أساسى للوحدة[٤]، وتعبر الأخيرة عن تطور مؤسسى لتضامن السود على مستوى العالم، وينشأ هذا التطور لرفض القوة البيضاء والسعى لوحدة بقوة سوداء[٥].

ومع أن الوحدة الأفريقية هى حركة لكافة أفراد وجماعات وطبقات العالم

(1)Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** pp.18-21.
(2)Alex Dupuy: **op.cit.,** pp.112-115.
(3)Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.14.
(4) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.68.
(5) Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.14.

الأسود، يرى رودنى أن هناك طبقة بعينها تستطيع أن تقود هذا النهج الوحدوى لتصل إلى تحقيق أهداف وتطلعات الإنسان الأسود، ويعول على الطبقة العاملة فى القيام بهذا الدور، ويرى أنه من السهل أن يصل السود لوحدة هذه الطبقة ومنها يمكن الانطلاق لتحقيق الوحدة الكلية، ولذا كانت هذه الطبقة محور اهتمامه الفكرى والحركى، حيث يؤكد على أهمية رفع مستوى وعى هذه الطبقات تمهيداً لقيامها بهذا الدور[١].

وإذا كان اللون الأسود هو المحدد والعامل الأساسى فى الوحدة الأفريقية، فماذا كان موقف رودنى من الأفارقة غير السود؟ يعُرف اللون الأسود لدى رودنى من خلال علاقة التضاد والتناقض مع اللون الأبيض، وما يرتبط به من سياسات وممارسات، ويرتبط الأبيض عند الأفارقة بتاجر الرقيق وصاحب المزارع والحقول واسعة النطاق المُستغِل والقائد المستعمر، ولذا أصبح الأسود عند رودنى هو غير الأبيض، والذى تعرض للاستغلال والقهر والخبرات التاريخية الاستعمارية، ولذا قبل رودنى الدول الأفريقية العربية والشعوب غير السوداء، وكذلك الهنود وغير الأفارقة فى وحدة الطبقة العاملة، بل كان يرى أن هناك أوجه ترابط وتشابه ربطت حركة الوحدة الأفريقية بحركة القومية العربية من حيث التطلعات وظروف النشأة، كذلك يؤكد على أن خبرات التعامل مع العرب قد أثبتت الطابع التسامحى لهم حتى فى تجارة الرق، وعلى أن مصر قد شكلت حلقة اتصال مهمة بين الطرفين[٢]، وأكد على عمق التشابه بين حركة الجامعة الأفريقية والحركة القومية العربية بقوله: «نحن نشهد أنه فى أوقات معينة من التاريخ -كما فى نهاية الحرب العالمية الثانية- تشابهت رغبات وتطلعات أصحاب توجه القومية العربية التقدميين مع رغبات وتطلعات أصحاب اتجاه الجامعة الأفريقية»[٣]، بل ويمكن استخدام

(١) **Ibid,** p.19.
(٢) **Ibid,** p.21 & 22. **&** - Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.71 & 72.
(٣)Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.20 & 21.

الحضارة المصرية للتدليل على قبول رودنى للدول الأفريقية العربية ودورها الحضارى، فقد تحيز فى عدد من دراساته إلى إصباغ الصفة الأفريقية على الحضارة المصرية، ويرى أنها حضارة أفريقية خالصة، ولكنها لم تحظ بالاهتمام الكافى، ولم يتم تناولها بقدرها المستحق كحضارة أفريقية، بل ويرفض أن يتم تصنيفها داخل نسق حضارى يكون سابقاً للنسق الحضارى الأفريقي، ويقول: «لنا وصف جغرافى بسيط، حيث يشير مفهوم الأوروبي إلى الأشياء التى فى أوروبا...ومع أن مصر موجودة ومترسخة فى أفريقيا لم يظهر اتجاه فى أفريقيا مثل ذاك الذى فى أوروبا»[1].

ولم يرفض رودنى الحضارة المصرية حتى عند تطبيقه لعامل اللون، بل انطلق منه للتأكيد على أفريقية هذه الحضارة، واستخدم منطلقات ومفاهيم الغرب لإثبات عكس ما يقوله الغرب، فالمفهوم اللونى للغرب هو «ما هو غير أبيض: هو أسود»[2]، ويستخدم ذلك فى تفنيد أية محاولة غربية لإضفاء اللون الأبيض على الحضارة المصرية، إذ يقول: «قدم المصريون أنفسهم أشخاصًا ذوى لون أحمر، أو لون نحاسى، وفى هذا الصدد يمكن القول بأنهم ميزوا أنفسهم عن الأشخاص البيض الذين يعيشون خارج مصر، وعن الأشخاص ذوى اللون الأسود الداكن الذين يعيشون فى الجنوب من مصر»، ولكنه يؤكد أنه من خلال الاتصال وعلاقات مصر مع هذه الأماكن الجنوبية وجلب العبيد السود اختلطت دماؤهم بنسبة مرتفعة مع دماء السود، بل ووصل السود إلى سدة الحكم فى بعض فترات الحضارة المصرية، ويؤكد أن محاولة الغرب لإصباغ اللون الأبيض على الحضارة المصرية ما هى إلا محاولة لتفكيك وتقسيم القارة حضارياً[3].

(1) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.**, p.71.
(2) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.**, p.16 & 17.
(3) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.**, pp.72-74.

ويرفض رودنى الاتجاه الذى يميز بين العرب والأفارقة، كما أنه يرفض التمييز بين العرب والمسلمين؛ لأنها جميعاً محاولات لمنع ظهور الحركات الوحدوية، ويمكن القول بأن معيار اللون عند رودنى يرتبط بحيز جغرافى فى بعض الأحيان، ويرتبط بخبرة تاريخية مشتركة فى أحيان أخرى، ولكنه لا يهدف لتكوين مجتمع متعصب أو عنصرى إثنياً، فكل من على إقليم القارة وشهد خبرات استغلالية عليه أن يشارك فى حركة الوحدة الأفريقية، ويؤكد: «هذا هو الوقت حتى نعمل خارج مسألة الإثنية دون اللجوء للعنف، ولكن إذا فُقدت هذه الفرصة فإن المجتمع سوف يتجه لحرب إثنية مدمرة، وسوف يعانى السود بسبب قلة عددهم، ولكن إذا أصبحوا جماعة منظمة فإن بإمكانهم أن يسببوا تدميراً واسع النطاق للبيض»[1].

ثانياً: الخبرات التاريخية المشتركة:

استخدم رودنى دراسته وعمق معرفته بتاريخ القارة فى توضيح مدى ترسخ مفاهيم الوحدة فى الخبرة والثقافة والتاريخ السياسي الأفريقي، وحاول أن يحفز الشعوب على استخدام خبرات المعاناة والاستغلال التى تعرض لها الشعب الأسود بعد الاتصال الأوروبى فى دفع عملية الوحدة قدماً كأداة للتخلص من مواريث الماضى، ولتصبح أداة حصانة وضمان لعدم تكرار مثل تلك الخبرات مرة أخرى، فالتوجه الوحدوى عند رودنى: «شُكل ليناشد ويعزز الكرامة الذاتية والثقة فى قوة جزء من أولئك الذين حولهم الرق إلى حالة الحيوان حامل الأعباء»[2].

وقد حاول رودنى التأريخ ودراسة المجتمع الأفريقي قبل الاتصال الأوروبى، وتقديم القيم والمبادئ والهياكل الوحدوية التى كانت داخل هذا المجتمع، مؤكداً على دور الغرب فى تفتيت وتدمير العديد من الهياكل الاجتماعية والممالك والإمبراطورايات والهياكل السياسية واسعة النطاق التى سادت تلك الفترة، إذ كان

(1) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.23.
(2) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.116.

لهذا الاتصال أثره فى تغيير طبيعة المؤسسات السياسية والاجتماعية، وستصبح التوجهات الوحدوية أكثر فاعلية إذا انطلقت من مثل تلك الخبرات والنماذج التاريخية المضادة للاستعمار والرأسمالية[١]، فقد حاول أن يجعل من الإرث الاستعمارى والعنصرى رابطاً بين الشعوب السوداء، مستخدماً أوجه الترابط تلك فى مواجهة الأنماط الحديثة من الاستعمار والعنصرية التى يمارسها الغرب[٢].

ويرى رودنى أن خبرة الاستغلال الأوروبى للقارة شعباً ومواردا قد أسهمت فى خروج مراحل التنمية وتطور المؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية عن التطور التدريجى والنضج التاريخى لها[٣]، وأنهم: «قد كثفوا استغلال السود، وتاريخياً شكلت التوجهات البيضاء لإثنية ومصالح الطبقات الإمبريالية عائقاً أمام تكوين تعبير اجتماعي من الجماهير السوداء المقهورة»[٤].

لقد كان رودنى على وعى بأهمية أن تتخلص القارة من تلك الخبرات حتى تستطيع أن تسترد مكانتها فى السياق لعالمى، وأن تكون الوحدة السياسية أحد أهم الأدوات التى تساعد القارة فى الوصول إلى هذا الهدف، ولهذا حاول التأكيد على ضرورة استمرار الكفاح والصراع خارج وداخل القارة لإدراك هذا الهدف[٥]، كما أكد أيضاً على أهمية حركات الوحدة الطبقية، فالوحدة فى أفريقيا وإن كانت تنطلق من خبرات تاريخية إلا أن الهدف منها هو التخلص من آثار الاستعمار وما يرتبط به من هياكل موروثة أو طبقات حاكمة تخدم مصالحه[٦].

وينظر رودنى للوحدة الأفريقية على أنها مغامرة جماعية وُضعت أسسها من

(1) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.128 & 129.
(2) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.121 & 129.
(3) Hakim Adi & Marika Sherwood: **op.cit.,** p.164.
(4) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.12.
(5) Trevor Campbell: **op.cit.,** p.57 & 58. **&** - Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.122.
& - Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.67.
(6) Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.,** p.66 &76-78.

الأفارقة فى الدياسبورا، ولذلك لابد أن تكون: «نظرة العالم الأسود تجاه الآباء الأوائل على أنها جزء تكميلى فى حياة الجماعة السوداء، وهذا يجعل معرفة الأجيال الحالية بكفاح الأجيال الأولى أكثر سهولة»[١]. وإذا كانت الوحدة الأفريقية ستأخذ الخبرات التاريخية فى الحسبان، فإنها ستحاول أن تستخدمها فى خلق هوية مشتركة للسود على أساسها، وفى نفس الوقت تحاول التصدى للعنصرية البيضاء التى فى هذه الخبرات، وأن تصحح العديد من أوجه الزيف والأخطاء التى يحاول الغرب أن يجعلها من ثوابت تلك الخبرات[٢]، ولذلك: «فالجامعة الأفريقية ليست وحدة لونية فحسب، بل هى أيضاً وحدة فى الظروف المشتركة...فقد استمرت المجموعة التى تسيطر على الاقتصاد السياسي الدولى فى تعريف الأشياء بمفاهيم عنصرية تتوافق وتتناسب مع مصلحتها»[٣]، وتصبح الوحدة السياسية الأفريقية هى الرد على تلك العنصرية التاريخية الراسخة فى علاقة القارة بالغرب، إذ يقول: «تصبح الهوية الأفريقية سلاحاً للتحرير، وعلى مستوى المنظمة يصبح من أهم المبادئ أن نقول : إن الوحدة واتساع مداها سيعطى القدرة على التحمل، وسيكون أداة ضد العدو، ولذلك فمن المنطقى أن يسعى الإنسان الأسود لتفعيل نقاط القوة...ويمكن أن تجعل الوحدة والثورة الأفريقية ما تم استخدامه سابقاً للذل والخضوع سنداً ورمزاً للوحدة وأداة للتحرير»[٤]، ولذلك يصبح الوعى والتثقيف التاريخى ضرورة للتصدى لسياسات الغرب، وخطوة ثورية نحو الوحدة[٥].

ثالثاً: الوعى الأسود:

لا يكفى التشابه اللونى بين جماعة أو شعب أن يكون السبب فى الاتجاه نحو

(1) Walter Rodney: African Revolution, **op.cit.,** p.7 & 8.
(2) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.24 & 25.
(3) Walter Rodney: African Revolution, **op.cit.,** p.8.
(4) **Ibid,** p.9.
(5) Walter Rodney: **Sign of the Times: Rodney's Last Speech** (Georgetown, Guyana: Working People's Alliance, 1981), p.13.

الوحدة، ولكن يجب أن تكون هذه الجماعة على وعى بأثر هذا اللون وما سببه من تشابه فى الخبرات وفى نمط ومستوى التعامل والعلاقات مع العالم الخارجى. ويربط رودنى بين فاعلية حركة الوحدة الأفريقية وبين مستوى الوعى الجماهيرى بما سببه هذا اللون من خبرات تاريخية، وما قد يُستخدم فيه هذا اللون للوصول إلى درجة من الوحدة فى الحركة والأهداف[١].

ويرتبط الوعى الأسود لدى رودنى بالخبرات التاريخية، إذ حاول أن يجعل منه فى ظل إدراكه لقيمة الثقافات والقيم الأمريقية نقطة انطلاق نحو الوحدة الأفريقية[٢]، لأنه حتى تنشأ الوحدة السياسية الأفريقية لابد أن يكون ذلك عن طريق حركة جماهيرية على درجة من الوعى، بمعنى أن يكون لها ذلك التوجه التغييرى الذى تفرضه أيديولوجية الوعى الأسود، ولذلك فإن إدراك النماذج التاريخية ومحاولة الاستفادة منها فى فرض حركة تغييرية على كامل المجتمع يبدأ من الخروج عن نمط علاقات التبعية للغرب، وينتهى بتأسيس هيكل وحدوى يمكن من خلاله القيام بهذا التغيير المنشود من أيديولوجية الوعى الأسود[٣]، ويعول رودنى على دور المثقفين ومؤسسات تشكيل الوعى فى رفع مستوى الوعى وتصحيح العديد من نماذج الوعى الجماهيري، والإسهام فى تغيير طموح ورغبات الإنسان الأسود للتحول لأهداف يمكن من خلالها الوصول لوحدة تسهم فى إحداث تغيير فى حياة الشعوب السوداء[٤]، وأنه يجب التخلص من النماذج والضغوط البيضاء التى تمنع حدوث هذا التغيير الثورى الواعى، إذ يقول: "يجب أن تكون فى أذهاننا صورة الأيام الماضية بوضوح، ونحن نعيد لتأكيد على أهمية استمرار الصراع...نحن نتحرك نحو ما نرغب، وندرك الضغوط لكن لا يمكن أن نخضع لمثل تلك

(1) Clive Thomas: **op.cit.,** p.7 & 8.
(2) David Renton: **op.cit.,** p.152.
(3) Wazir Mohamed: **op.cit.,** P.4 & 5. **&** - Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.124.
(4) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.126.

الضغوط»[1]، ويجب على المثقف: «أن يربط نفسه بالأبعاد الأخرى للوجود البشرى، ويحاول أن يكافح حتى يزيل ذلك الغطاء الكثيف الذى نسجه المفكرون المحترفون حول أنفسهم وحول المجتمع، وهذا يتطلب قدرات عملية قبل التنظيرية»[2]، كما يؤكد على أن الغرب استطاع السيطرة على العالم من خلال امتلاكه لأدوات تشكيل الوعى، ولذا استطاع التلاعب بالوعى الجماهيرى للسود، وحتى تصل هذه الجماهير إلى الوحدة لابد لها أن تدرك أنها تسعى إلى تغيير ثورى فى مجتمعاتها يكون الهدف منه الخروج عن الأنساق الموروثة فى علاقتها مع الغرب، والوصول إلى هيكل وحدوى يحقق أهداف هذه المرحلة الثورية[3].

رابعاً: تحديات ما بعد الاستقلال:

فرضت العلاقة الأفريقية مع الغرب عدداً من التحديات أمام السود فى الفترة التالية لحصول دولهم على الاستقلال، ويرى رودنى أن مواجهة تلك التحديات تحتاج إلى إعادة هيكلة العلاقة بين الأفارقة فيما بينهم قبل أن تتم هيكلة علاقة القارة بالغرب، وحتى يصل السود إلى ذلك يطرح نموذج الوحدة الأفريقية لإعادة هيكلة علاقة السود فيما بينهم ومع الغرب فى آن واحد[4]، وفى نفس الوقت يطرح رودنى الاشتراكية كتوجه أيديولوجى وإطار مرجعى يمُكن القارة من تحقيق هذه الأهداف، ولذا: «لابد أن تصبح حركة الجامعة الأفريقية سلاحاً اشتراكياً ضد الإمبريالية»[5]، وأنه: «يمكن أن يتحقق الاستقلال تحت مظلة الاشتراكية فقط،

(1) Walter Rodney: Sign of the Times: Rodney's Last Speech, **op.cit.,** p.15.
(2) Bonaventure Swai: **op.cit.,** p.39.
(3) Hakim Adi & Marika Sherwood: **op.cit.,** p.165. & - Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.62.
& - Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.12.
(4) Bonaventure Swai: **op.cit.,** p.33. & - Alex Dupuy: **op.cit.,** p.118.
(5) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress….., **op.cit.,** p.740.

كذلك يمكن أن تنمو أفريقيا إذا استطاعت قطع صلاتها مع النظام الرأسمالى»[1].

ويمكن تفسير التعاون بين الاشتراكية والوحدة الأفريقية فى ضوء الاعتبارات العملية التى يفرضها الواقع، وإن كان هناك اختلاف فى الأسس الفكرية بين التوجهين، فقد كان هدف رودنى أن يصل للوحدة، وفى نفس الوقت يحرر عقول السود من القيم الرأسمالية مستغلاً الاستقطاب الذى يحدث فكرياً على المستوى العالمى.

وفى رؤيته أن الوحدة ستتم تحت قيادة الطبقة العمالية، كما سبقت الإشارة، وأن التوجه الاشتراكى هو الذى يهتم بوعى وبوحدة هذه الطبقات العمالية أيضاً، كما كان يرى أن الرؤى الاشتراكية ستكون مقبولة سيكولوجياً من الأفارقة لأنها لم تمارس الإمبريالية الفكرية والثقافية على السود، كما أنها ستسهم أيضاً فى مواجهة التحديات التى تفرضها مرحلة ما بعد الاستعمار على الدول الأفريقية، ولكنه يضعها فى قالب أفريقي، وتطبق فى ضوء قيم وثقافات ونماذج أفريقية خالصة[2].

إذن حاول رودنى أن يجعل الوحدة الأفريقية حركة شعبية تستمد أسسها من خصائص وسمات وخبرات الشعب الأسود، وتسعى إلى تغيير وتطوير راديكالى فى سمات وخصائص وموروثات هذا الشعب، لتصبح الأداة التى يمكن من خلالها مواجهة تحديات ما بعد الاستقلال، واخروج من حالة التبعية التى تحاول الرأسمالية أن تحافظ عليها كسمة أساسية لعلاقتها بالقارة، وذلك للوصول إلى كيان قادر على تحدى إمبريالية وسيطرة الرأسمالية العالمية.

---

(1) David Renton: **op.cit.,** p.151.
(2) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.68.
& - Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress....., **op.cit.,** p.738 & 740.
& - Michael O. West: Walter Rodney and Black Power....,**op.cit.,** P.10.

المطلب الثالث: معوقات وتحديات الوحدة الأفريقية

اختلفت أهداف الوحدة السياسية الأفريقية فى الفترة التالية للاستقلال عما كانت عليه فى فترة الكفاح ضد الاستعمار، ولكن تظل قضية إعادة هيكلة العلاقة مع الغرب تحتل موقع الصدارة فى أولويات اهتمام قادة الدول، وهى فى مقدمة أهداف مفكرى الوحدة السياسية الأفريقية، وإذا كان رودنى قد تطلع لإبراز الأسس والسبل التى يمكن من خلالها تحقيق الوحدة، إلا أنه قدم العديد من التحديات التى يمكن أن تؤجل أو تحول دون الوحدة بين الدول الأفريقية، ومن أهمها:

أولاً: البرجوازية الصغيرة وطبيعة توجهاتها بعد الاستقلال:

تنبأ رودنى بتحول العديد من النخب الحاكمة فى أفريقيا والكاريبى إلى ممارسات ديكتاتورية بعد الحصول على الاستقلال –وهذا ما سبقت الإشارة إليه– وتوقع أن تكون ممارسات تلك النخب حائلاً دون أوجه التعبير الديمقراطية والممارسات الشعبية، وكذلك ستحول دون تكوين الحركات الجماهيرية واسعة النطاق والتوجهات الوحدوية فى القارة[1]، ويفسر ذلك فى ضوء سعى هذه النخب للحفاظ على مناصبها والرغبة فى إحكام سيطرتها على المساحة الإقليمية التى تحت سيطرتها، وأنها لن تكون على استعداد لأن تتنازل عن كل ذلك سريعاً بعد الاستقلال وسنوات الكفاح، بل يرى أنها ستكون على استعداد لأن تستخدم ذات السياسات والأدوات الرأسمالية الإمبريالية لتحقيق ذلك، كأن تحاول الحفاظ على حالة التفكك والصراع داخل وبين الدول الأفريقية[2]، بمعنى أن يكون هناك العديد من الصراعات

(1) Clive Thomas: **op.cit.** pp.9-12.
(2) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.70.
& - Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.18.
& - Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.126 & 127.

والحروب السياسية التى تهدف منها النخب الحاكمة إلى الحفاظ على سلطتها وقوتها.

ويرى رودنى أن: «حركة الجامعة الأفريقية وحتى الزنوجة قد أصبحت تحت سيطرة البرجوازية الصغيرة (المعتلة) مما أدى إلى تشكيلات عقيمة من التعصب الأسود غير قادرة على تحدى الرأسمالية والإمبريالية»[1]، وأن: «التأمل القريب يكشف أن الطبقات الحاكمة فى أفريقيا قد فشلت فى الوصول إلى وحدة مؤثرة لها معنى، ولا يمكن تفسير ذلك فى ضوء ضعف هذه الفئات فحسب، بل إن هناك أيضاً عملية التفكك التى كانت تحدث وقت التفاوض من أجل الاستقلال... ويكشف لنا ذلك مدى جبُن هذه الفئات فى عملية التفاوض لقبولها بدول مفككة صغيرة الحجم غير قابلة للنمو»[2].

ويؤكد رودنى أن أحد أهداف الوحدة الأفريقية بعد الاستقلال هو التخلص من هذه البرجوازيات التى تخدم مصالح الرأسمالية، والتى حاولت إفراغ هذه الوحدة من مضمونها[3]، مؤكدا على «أن قيادة الطبقة البرجوازية الصغيرة الأفريقية منذ الاستقلال قد شكلت عائقاً أمام نمو الثورة الأفريقية، وتوضيح ذلك يكون من خلال نهج طليعة حركة الجامعة الأفريقية (التى برزت من المؤتمر الخامس) التى فقدت اتجاهها، وانغمست فى الاتجاهات النظرية والممارسات البرجوازية...كما انغمس عدد من القادة فى التناقض الخاطئ بين الاشتراكية والجامعة الأفريقية»[4]، بل ويرى أن "مفهوم الجامعة الأفريقية قد تعرض للسخرية من الحكومات الحالية التى زعمت أن مفهوم «أفريقي» قد توارى بتأثير عدد من الاعتبارات العملية كالسفر والعمل»[5].

(1) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.117.
(2) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress...., **op.cit.,** p.733.
(3) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.117. & - Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.14.
(4) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress...., **op.cit.,** p.735.
(5) **Ibid,** p.733.

وقد قدم رودنى الحل للتغلب على هذا التحدى وهو أن توجه الحركة الكفاح ضد هذه الفئات الحاكمة كما هو ضد الرأسمالية، وأنه «سيتم تحقيق التحرير والوحدة الأفريقية من خلال الكفاح ضد الموالين للرأسمالية العالمية من الأفارقة»[1]، مؤكداً على بداية هذا الكفاح بأدوات سلمية فى البداية ليصل إلى ثورة اجتماعية واستخدام صريح للعنف[2].

ثانياً: التدخل الخارجى: العنصرية البيضاء ورفض الغرب للوحدة الأفريقية:

على الرغم من حصول الدول الأفريقية على الاستقلال يرى رودنى أن هذا الاستقلال فى العديد من جوانبه كان استقلالاً شكلياً، فقد أرادت الدول الغربية منه أن تترك دور المستعمر المباشر المكلف لها اقتصادياً، والذى تتعرض بسببه لانتقادات دولية ونشاط حركات التحرير، وأن تحقق الأهداف الاستعمارية ولكن بأدوات مختلفة الشكل تحقق نفس المضمون، ولذلك فمن مصلحة الرأسمالية العالمية أن تظل الدول الأفريقية على ذات الواقع المتشرذم، وأن تحافظ على أسباب التفكك والتقسيم التى تم ترسيخها فى وقت الاستعمار[3]، وأن تظل الجماهير السوداء «مقسمة على أساس الهيراركية الإثنية والطبقية التى تم ترسيخها أثناء الاستعمار، ومحاولة الحفاظ عليها فى الفترة التالية للاستقلال»[4].

وإذا كانت بداية الجامعة الأفريقية بتأثير السياسات الاستعمارية والعنصرية فى فترة بعينها، فإن الوحدة السياسية الأفريقية تمثل محاولة للتصدى للأشكال الجديدة من الاستعمار والعنصرية[5]، فقد حاولت الرأسمالية العالمية استخدام أدواتها

(1) **Ibid,** p.740.
(2) Clive Thomas: **op.cit.** p.11 & 12. **&** - Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.,** p.68 & 76.
(3) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress....., **op.cit.,** p.732.
(4) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.114.
(5) Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.8 & 9.

للاختراق والتغلغل فى الدول الأفريقية للحيلولة دون الوصول للوحدة الأفريقية، وتنوعت تلك الأدوات ما بين سياسية واقتصادية واجتماعية، ولكن تشترك جميعها فى كونها: «التعبير الواضح عن الرأسمالية الحديثة والتى تحقق الاستغلال المستمر للدول الأفريقية»[1]، وينتمى رودنى بذلك لتيار فكرى يؤكد أن الفارق التنموى والتقنى والفارق فى القوة لصالح الغرب سيشكل عائقاً فى سبيل إدراك الوحدة الأفريقية؛ لأن ذلك سيسمح بالاحتفاظ بالقارة فى وضع التابع بشكل مستمر، ولن يسمح الغرب للقارة بأن تصل للأدوات أو الترتيبات التى يمكن من خلالها تقليص هذا الفارق[2]، ويطرح رودنى دور الإرادة الشعبية والحركة الجماهيرية المنظمة واسعة النطاق، وكذلك رفض النماذج الأيديولوجية الغربية لصالح نماذج أيديولوجية وتنموية لها صبغة أفريقية كأدوات لتحدى أدوات الرأسمالية العالمية وللاتجاه لحركة وحدوية أفريقية[3].

ثالثاً: الحدود السياسية والتمسك بالسيادة:

إذا كان رودنى يرى أن الوحدة الأفريقية ستكون الحل للعديد من مشاكل الحدود فى أفريقيا، لكنه يؤكد فى نفس الوقت على أن التقسيمات الصناعية لحدود الدول الأفريقية أثرت على إمكانية الوصول للوحدة، وذلك فى ظل عدم قبول فكرة تعديل أو إزالة تلك الحدود، ويرى أن الحدود فى حد ذاتها ليست المشكلة، ولكن المشكلة فى الطريقة التى وُضعت بها، وفى إدارة القوى الاستعمارية للعلاقات الاجتماعية داخلها، وفى أسلوب إدارة النخب الحاكمة للعلاقات داخل وبين الدول التى لها جماعات مشتركة عند الحدود، بل وتتمسك هذه النخب بذلك الحيز الجغرافى الذى تراه يعبر

(1) Walter Rodney:People's Power, No Dictator, **op.cit.,** p.77 & 78.
(2) Imanuel Geiss: **op.cit.,** pp.195-197.
(3) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress....., **op.cit.,** p.740
& - Horace Campbell: »Walter Rodney and Pan-Africanism Today«, **op.cit.,** p.9.

عن سيادتها، وهذا ما شكل معوقاً أمام إمكانية الوصول للوحدة السياسية[١].

ويرى العديد من النخب الحاكمة أن التوجه الوحدوى هو عبارة عن انتهاك للسيادة الوطنية التى كافحت من أجلها لعقود طويلة، ويلقى ذلك التوجه دعماً من الغرب الذى يحاول الحفاظ على مصالحه وتغلغله داخل القارة، كما يحاول أن يستخدم النخب الحاكمة فى تحقيق ذلك[٢]، ولذا يؤكد رودنى على أن: «الحكام الأفارقة يفترضون أن الحدود السياسية الأكثر اتساعاً ستؤثر على رفاهية طبقتهم الصغيرة، وفى كافة أرجاء القارة لم ينكر أى من حركات التحرير شرعية الحدود السياسية التى تم تكوينها فى ظل الإمبريالية...وقد حاول أغلب الدول الأفريقية الصغيرة أن يعزز من حدود إقليمه...وحاولت الدول الرأسمالية الكبرى بطرق مباشرة وغير مباشرة وبسلوك فردى تارة وسلوك جماعى تارة أخرى أن تحافظ على وجود البرجوازية الصغيرة الأفريقية كطبقة حاكمة يتم استخدامها للتغلغل والتلاعب بالمجتمع الأفريقي»[٣]، ويكمن الحل عند رودنى فى: «أن تتم إزالة حدود الدول الأفريقية الحالية ليتم فتح المجال أمام إمكانية الوحدة السياسية والاقتصادية فى القارة»[٤].

رابعاً: واقع التنمية وتخلف الهياكل الاقتصادية:

أدت العلاقة التاريخية بين الأبيض والأسود إلى تكوين الثروة لصالح طرف على حساب استغلال الطرف الآخر، ولذلك ليس من الصدفة التاريخية أن تكون الثروة فى يد الأبيض، بينما يظل الأسود فى حالة من الفقر والتخلف بسبب الغرب؛ وذلك

(1) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.118.
& - William Bascom: Tribalism, Nationalism, and Pan- Africanism, **Annals of the American Academy of Political and Social Science** (London: Sage Publication, Vol.342, July 1962), pp.26-29.
(2)Rupert Emerson: Pan-Africanism, **International Organization** (Cambridge: Cambridge University Press, Vol.16. No.2, Spring 1962), pp.275-278.
(3)Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress....», **op.cit.,** p.732.
(4) **Ibid,** p.740.

حتى تظل القوة والثروة حكراً عليه[1]. ومع أن القارة من أغنى مناطق العالم فى الثروات والموارد الطبيعية، لكن كان - ولايزال- نمط الاستثمارات الأجنبية والشركات المتعددة الجنسيات والعلاقات الاقتصادية الغربية تهدف فقط إلى نهب وتحويل القيمة المضافة لصالح دولها، وحتى يحافظ الغرب على هذه الفوائد حاول أن يحافظ على القارة مقسمة ومفككة من ناحية، وأن تظل فى دور التابع بشكل دائم، وأن يقف أمام أية محاولة لتكوين هيكل وحدوى ينهى هذه العلاقة الاستغلالية من ناحية أخرى، بل ونجد البرجوازيات الصغيرة تصل لمعدلات من الفساد بما يخدم مصالحها ومصالح الفئات التى ترتبط بها، حتى لو كان ذلك ضد مصلحة شعوبها[2].

لذلك يرى رودنى أنه لابد من تحدى الرأسمالية كنهج تنموى، ورفض أساليبها التى تحاول أن تفرضها على القارة، كذلك يجب أن يشكل الاعتماد على الذات المخرج الأساسى من هذه الأزمات الاقتصادية، وأن يكون ذلك أداة لتوحيد الجهود لمواجهة هذا الوضع الاقتصادى، وأن يسهل فى نفس الوقت النهج الوحدوى فى القارة، لأن: «الأوروبى استعبد الإنسان الأفريقي، بل و ستعمر القارة أيضاً، ولم يتخيل أن بعضاً من هؤلاء العبيد سيكونون الأدوات التى يتم بها تحريرها»[3]، وحتى تقوم هذه الوحدة الأفريقية فإنها «تتطلب عدم تغلغل رأس المال العالمى، وأن يتم إنهاء استغلال الأفارقة من خلال تأسيس المجتمع الاشتراكى»[4].

خامساً: التأثيرات الثقافية والسيكولوجية السلبية للخبرات الاستعمارية:

يسهم الاستعمار وخبرات الاستغلال والعنصرية فى المعوقات سالفة الذكر، لكن رودنى يضيف إلى هذه المعوقات أثر هذه الخبرات الاستعمارية على النواحى الثقافية

(1) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.19.
(2) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress...., **op.cit.,** p.737. & - Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.125 & 126.
(3) Walter Rodney: African Revolution, **op.cit.,** p.9.
(4) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress...., **op.cit.,** p.740.

والسيكولوجية للسود، ومدى إحساسهم بالدونية، وافتقاد الثقة فى أنفسهم وفى قدرتهم على تغيير ظروفهم كأحد المعوقات الأساسية للوحدة الأفريقية[١]، فقد حال الاستعمار دون بروز برجوازية صناعية، وساهم فى تشويه الهيكل الطبقى، وحاول التلاعب بالتاريخ والحضارات الأفريقية، وتشويه ما تقدم من نماذج إيجابية، وأن ينكر الحقيقة القائلة: «بأن محاولات الثورة وحركة الجامعة الأفريقية التى تتم فى مختلف أرجاء القارة لها أسس ومبادئ راسخة فى الحضارات والثقافات الأفريقية التاريخية»[٢]، بل وحاول الغرب استخدام أدواته الثقافية فى تفكيك القارة الأفريقية، فكان: «على ما يبدو الاختلاف الظاهر فى اللغة السبب فى انقسام حاد فى حركة الجامعة الأفريقية...لذلك أصبحت الجامعة فى بعض الحالات بمثابة هيكل مجدب غير قادر على تحدى القوى الرأسمالية»[٣]، فى إشارة منه لأثر الاختلاف بين سياسة فرنسا وبريطانيا الاستعمارية على التوجهات الوحدوية فى القارة.

ويؤكد رودنى على أن أثر هذه الخبرات الثقافية والسيكولوجية السلبية لا يزال موجوداً عند الأفارقة «فلا تزال تركة الرق على كاهل الإنسان الأسود»[٤]، ذلك الإنسان الذى حاول الاستعمار أن يفقده ثقته فى نفسه لتصبح: «أنماط التفكير المسيطرة عليه الآن هى من ميراث الفترة الاستعمارية، ويتم تزكيتها من خلال أدوات وسلطات الدولة»[٥]، وقد أدى هذا الاتجاه الغربى: «إلى أن يترك فى عقول الأغلبية الساحقة من الأفارقة فى كل مكان أنهم لم يغيبوا تاريخياً تماماً، إنما يمكن للفرد أن يظل ساكناً لا تأثير له، ويمكن أن يتم الاعتماد على سكان بعينهم لخلق

(1) Rupert Lewis: **op.cit.,** pp.1-5. & - Horace Campbell: Philosophy and Praxis: the Life and Work of Walter Rodney, **op.cit.,** p.4.
(2) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.69, 71, &80.
(3) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress....., **op.cit.,** p.737.
(4) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, op.cit., p.25.
(5) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress....., op.cit., p.733.

وحدة راسخة واسعة المدى فى وقت معين»[1]، مستهدفاً بذلك الوصول بالجماهير لسلبية الحركة، ولكن رودنى يرى: «أن هناك وقائع أساسية تشكل الوعى السياسي لذلك الأسود فى العالم الجديد تجاه القارة الأفريقية...من بين تلك الوقائع الحاجة إلى منظمة مشتركة؛ لأن هذه الوحدة ستحدد من هو العدو المشترك»[2].

ويعبر رودنى عن توجه فكرى راسخ فى ثقافة وتاريخ القارة يرى أن الوحدة الأفريقية والوصول لبناء هيكل مؤسسى سياسي مشترك هو الحل للعديد من المشكلات الأفريقية، بل هو الحل أيضاً لجملة مشكلات الإنسان الأسود على المستوى العالمى، وقد حاول جذب الانتباه إلى ضرورة الاستفادة من الإرث الحضارى والثقافى والتاريخى المشترك فى تحرك السود نحو الوحدة، ولكن لابد أن تبدأ الأخيرة من حركة جماهيرية واسعة النطاق، وتحت قيادة فئات عانت من خبرات التفكك والتشرذم الذى عليه القارة. وأنه على الأخيرة أن تسعى لتعميق أوجه التنسيق فيما بين وحداتها وفى أسلوب تعاملها مع الغرب، وأكد على أن هذه الوحدة ستشكل الحل للعديد من المشكلات التى تمثل نقاط ضعف وأسباباً لتدخل الغرب فى الشئون الداخلية لدول القارة، ويرى أن القارة تمتلك العديد من أبعاد التنسيق وأوجه التقارب والمظاهر المادية التى يمكن أن تشكل أساساً لهذه الوحدة، ولكن عامل اللون احتل أولوية فى فكره من بين هذه الأبعاد، وإذا كان هناك العديد من التحديات المؤسسية والسياسية والفكرية التى تعترض سبيل الوحدة الأفريقية، فإن الخروج عن النماذج التى تفرضها الرأسمالية العالمية يمثل بداية منطقية لهذه التوجهات الوحدوية عند رودنى، كما يؤكد على أن أسس ومنطلقات تلك الوحدة راسخة وموجودة فى الثقافة والإرث الحضرى الأسود، ولذا فالوعى بهذا الإرث سيزيل العديد من العقبات والتحديات التى تجابه هذا التيار.

(1) Walter Rodney: African Revolution, **op.cit.,** p.8 & 9.
(2) David Renton: **op.cit.,** p.152 & 153.